نشرة صندوق النقد الدولي

صفوف الباحثين عن وظائف في مدينة مدريد عاصمة إسبانيا، البلدان الصناعية تواجه نموا منخفضا وبطالة مرتفعة وتراجعا في الرفاهية (الصورة: /Susana Vera/Reuters)

محاضرة مؤسسة بير جاكبسون

البلدان الصناعية "تحتاج إلى التكيف مع الواقع الجديد"

نشرة صندوق النقد الدولي الإلكترونية

١٠ أكتوبر ٢٠١٠

- د. محمد العريان يقول: السياسات العالمية في فترة ما بعد الأزمة غير كافية
- البلدان الصناعية تواجه مخاطر كبيرة تتجاوز المعتاد
- ينبغي زيادة التنسيق العالمي ورؤية الأمور من منظور أطول أجلا

أعرب الدكتور محمد العريان، أحد أبرز مديري الاستثمارات والمحللين الاقتصاديين في العالم عن اعتقاده بأن البلدان الصناعية أحسنت إدارة الأزمة المالية العالمية لكن التكيف في مرحلة ما بعد الأزمة يتطلب تصحيحا للمسار.

ففي سياق الاجتماعات السنوية المشتركة بين صندوق النقد الدولي والبنك الدولي لعام ٢٠١٠ وتحت رعاية مؤسسة بير جاكبسون، ألقى الدكتور محمد العريان، الرئيس التنفيذي لمؤسسة بيمكو، أكبر مستثمر للسندات في العالم، محاضرة في العاشر من أكتوبر الجاري نبه فيها إلى ضرورة أن تعترف السياسات الاقتصادية في البلدان الصناعية بالتغيرات الهيكلية التي طرأت على اقتصاداتها من جراء الأزمة.

وقال الدكتور العريان لجمهور الحاضرين إن البلدان الصناعية "في رحلة مضطربة نحو واقع جديد". ذلك أن إجراء عملية كبرى لإعادة الاتساق قوميا وعالميا يعني أن لا عودة لمنوال العمل المعتاد.

وأشار الدكتور العريان إلى "التوقف المفاجئ" الذي تعرض له النظام النقدي الدولي، قائلا إن تأثيره على ملايين البشر لا يزال ملموسا في جميع أنحاء العالم. وأضاف الدكتور العريان أن الضرر كان كبيرا على البلدان الصناعية بشكل خاص، وأنها تواجه الآن نموا منخفضا، وبطالة مرتفعة، وتراجعا في الرفاهية، إلى جانب شبكات الأمان الاجتماعي المتهالكة.

إجراءات قوية لمواجهة الأزمة

وقال الدكتور العريان إن الأزمة المالية العالمية نتاجا لسنوات عديدة من التجاوزات في الميزانيات العمومية والاختلالات في المدفوعات، مصحوبة باستهلاك مفرط للابتكارات المالية التي خفضت الحواجز أمام الاستثمار، بما في ذلك الاستثمار في سوق الإسكان.

وقد بادرت السلطات القومية بتحركات جرئية لمعالجة الإخفاقات المتعاقبة، وقامت بذلك على نحو منسق عالميا، مما سمح بتجنب كساد اقتصادي متعدد السنوات ومعاناة آلاف الملايين حول العالم. ووصف الدكتور العريان رد الفعل الدولي تجاه الأزمة بأنه "التنسيق العالمي في أفضل صوره".

طريق وعر نحو وجهة جديدة

وقال الدكتور العريان محذرا إن البلدان الصناعية بعد أن "انتصرت في الحرب"، تخاطر الآن بأن "تخسر السلام"، مع تراجع التقارب بين السياسات الذي تشكل في خضم الأزمة ليحل محله التشتت والإفراط السياسي في انتهاج استراتيجية حافة الهاوية. "فالتحرك العالمي الذي كان واعدا يوما ما حلت محله السياسات الاقتصادية القومية غير المنسقة بالقدر الكافي والاحتكاكات المتنامية بين البلدان."

وقال الدكتور العريان إن العالم يواجه عملية تعافٍ مطولة ومعقدة. وتأتي هذه التحديات نتاجا للاختلالات الهيكلية الجسيمة ــ التي يوضحها الاستهلاك المفرط، وفقاعات الأصول، وإدارة المخاطر غير الملائمة، والمنتجات المالية التي أسيء فهمها ــ مقترنة بدمار الميزانيات العمومية.

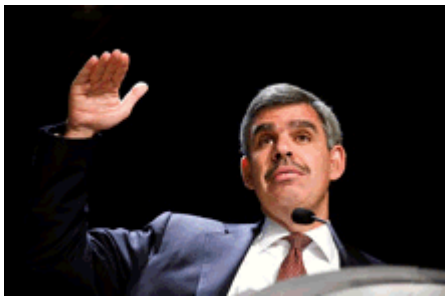

الدكتور محمد العريان: "التحرك العالمي الذي كان واعدا يوما ما حلت محله السياسات الاقتصادية القومية غير المنسقة بالقدر الكافي، والاحتكاكات المتنامية بين البلدان (الصورة: صندوق

وكانت النتيجة حتى الآن هي حدوث ضعف في النمو الاقتصادي لدى البلدان الصناعية، وارتفاع مزمن في البطالة اكتسب الطابع الهيكلي، ومستويات عجز ومديونية كبيرة في القطاع العام، وتأثير زائد من السياسة على الاقتصاد. وقد بدأ النمو والثروة يتحولان إلى الاقتصادات الصاعدة.

وأشار الدكتور العريان إلى وجود ثلاثة تحديات خطيرة تواجه البلدان الصناعية: \

- ***الميزانيات العمومية:*** تواجه البلدان الصناعية تحديات خطيرة على مستوى الميزانيات العمومية، ومن غير المرجح أن تتمكن من تحقيق نمو يخلصها من الديون. فبالرغم من كل ما قام به القطاع الرسمي ــ بما في ذلك الاتحاد الأوروبي وصندوق النقد الدولي ــ لمنع أعباء الديون المفرطة، فلا يوجد مستثمرون جدد بينما المستثمرون القائمون يغادرون، مستفيدين من مساعدة القطاع العام في القيام بذلك.

• ***التغيرات الهيكلية:*** يخضع المشهد الاقتصادي في البلدان الصناعية لتغيرات جارية بسبب ارتفاع البطالة، والتغيرات في إنفاق الشركات والأُسر، وسلوك المستثمرين، وتباطؤ استثمارات القطاع الخاص. وأكثر الأمور مدعاة للقلق في هذا الخصوص هو أن البطالة المرتفعة بدأت تتحول إلى بطالة هيكلية. وثمة تآكل مستمر في المهارات، كما توجد ضغوط على شبكات الأمان الاجتماعي والموازنات الحكومية. أما من لديهم وظائف بالفعل فهم يلتزمون الحذر في الإنفاق والاستثمار.

• ***وول ستريت في مقابل مين ستريت:*** أشار الدكتور العريان إلى أن التعافي المالي حقق نجاحا أكبر من التعافي الاقتصادي. فقد استفاد وول ستريت من إعادة رسملة الجهاز المصرفي وانخفاض أسعار الفائدة. لكن هناك تداعيات محدودة نجمت عن سعي وول ستريت لإعادة الاقتصاد العيني إلى وضعه الطبيعي، مما أبرز الاختلاف بين مين ستريت وول ستريت، وبين الشركات الصغيرة والكبيرة، وبين الأسر المعيشية الفقيرة والثرية، وبين الأجيال الأكبر سنا وجيل الشباب. فعدم وجود ضريبة على الأرباح المفاجئة التي حققتها الطفرة المصطنعة في الإيرادات المالية كان معناه أن المؤسسات يمكنها تمرير إيراداتها الزائدة إلى مسؤوليها التنفيذيين في شكل تعويضات ومكافآت. ووصف الدكتور العريان عالم ما بعد الأزمة بأنه عالم "خصخصة المكاسب وتأميم الخسائر".

وقال الدكتور العريان إن التوقعات تتغير. فبينما يواجه المقيمون في البلدان الصناعية احتمال أن يصعب على الأجيال القادمة تحقيق مستويات المعيشة التي يحيون فيها الآن، نجد أن المقيمين في الاقتصادات الصاعدة المؤثرة على النظام يورثون أبناءهم وأحفادهم مستويات معيشية تزداد تحسنا. ويعني الافتقار إلى الثقة في المستقبل أن تأمين الذات ــ في قطاعي الشركات والأسر ــ ضد المخاطر المستقبلية في زيادة مستمرة، وهي عملية غالبا ما كنت تقتصر في السابق على البلدان النامية.

منعطف حاسم

قال الدكتور العريان إن الاقتصاد العالمي يمر بمنعطف حاسم. فبعد أن تجنبت البلدان الصناعية شبح الكساد الناجم عن الأزمة، بدأت تفقد الزخم الدافع للتعافي وهناك خطر يهدد بانزلاقها إلى عقد ضائع من النمو المنخفض والبطالة المرتفعة والرفاهية المتراجعة. ولن يلحق ذلك الضرر بالنمو العالمي مباشرة وحسب، وإنما سيهدد أيضا التطور الناجح الذي تحققه الاقتصادات الصاعدة الرئيسية.

ودعا الدكتور العريان المؤسسات متعددة الأطراف "التي تتمتع بالمصداقية والكفاءة" مثل صندوق النقد الدولي إلى القيام بدور أكبر في تشكيل سياسات قومية تتسم بالاتساق والدعم المتبادل عالميا وتوفير معلومات يمكن الاستنارة بها في تصميم وتنفيذ هذه السياسات. وأضاف الدكتور العريان أن صندوق النقد الدولي يحتل مركزا فريدا يؤهله للقيام بدور الناصح الأمين، وتجميع عناصر الواقع الاقتصادي الجديد، والخروج بخطط عمل يمكن طرحها للنقاش وتنفيذها ومتابعتها.

لكن الدكتور العريان قال إن دور الصندوق لا يزال قاصرا عن تيسير المستوى المطلوب من التنسيق بين السياسات ووضع الركائز الأساسية لعملية مراجعة نظراء بناءة يمكن اعتبارها عملية موثوقة ومنصفة وفعالة. وأضاف أن "الصندوق لم يصل بعد إلى حيث ينبغي أن يكون".

وتنبأ الدكتور العريان بأن سجلات التاريخ سوف تذكر بإعجاب ما حدث في مرحلة إدارة الأزمة، لكنها ستكون أقل إعجابا بالإجراءات التي اتخذت بعدها ما لم تبادر البلدان الصناعية والمؤسسات متعددة الأطراف بإضافة القدرة على التكيف وسرعة الحركة إلى سجل إنجازاتها السابقة.

وردا على سؤال من الجمهور حول مدى ديمومة الواقع الجديد، نبه الدكتور العريان إلى عدم استقرار التعافي بالضرورة. فحسب تقديرات مؤسسة بيمكو، هناك احتمال نسبته ٥٥% بأن يستمر الوضع الراهن لمدة تتروح بين ٣ و ٥ سنوات ــ أي أن الاقتصاد العالمي يواجه "آفاقا يشوبها عدم يقين استثنائي"، حسب تعبير بن برنانكي رئيس مجلس الاحتياطي الفيدرالي الأمريكي.

مرحلة الانطلاق

وردا على سؤال حول كيفية امتداد الواقع الجديد للأسواق الصاعدة، قال الدكتور العريان إن الوضع الراهن الجديد قد تحسن كثيرا في كثير من البلدان غير الصناعية، مع التسارُع في وتيرة انتقال ديناميكية النمو إلى الأسواق الصاعدة وعدد من البلدان النامية التي تقف على أعتاب مرحلة الانطلاق المأمولة. إن الواقع الجديد هو عالم يتميز بالانفصال بين التطورات التي تحدث في أنحاء العالم المختلفة، لكن الاقتصاد إذا تحول إلى ركود مزدوج القاع فلن يكون الانفصال على قدر كبير من القوة كما سيؤدي النجاح غير المتوقع إلى عودة الاقتران من جديد.

وقال الدكتور العريان في رد على سؤال آخر أن العوامل الطبيعية الخارجة عن دائرة التحكم، مثل شيخوخة السكان في البلدان الصناعية وتغير المناخ، يمكن أن تؤثر على توازن الواقع الجديد في الاتجاه السلبي، بينما يمكن أن يؤدي عدد من الاكتشافات العلمية إلى إحداث تحسن كبير في الإنتاجية ومن ثم إلى تأثير إيجابي.